سامي مهدي

في مستوى المسؤولية التاريخية

رغم عنصر المفاجأة في نشوب القتال ، ورغم الظروف الجغرافية التي تبعد بنا عن ساحته الفعلية ، فان العراق لم يفقد قدرته على المبادرة الناجحة والمجابهة الفعالة والسريعة .

فمنذ الساعات الاولى لبدء القتال ، تحرك العراق على كافة الاصعدة ، واتخذت قيادته السياسية جملة اجراءات اتسمت بالتكامل والحسم والسرعة .. فالى جانب ما اتخذ على الصعيد العسكري البحت ، وفضلا عن تعبئة طاقات القطر تعبئة شاملة ، وجهت ضربة قاصمة لبقايا المصالح الاميركية في العراق ، وذلك بتاميم الحصة الاميركية في شركة نفط البصرة .

وليس ثمة شك في ان تحركا على هذا المستوى من الفاعلية والتمكن ما كان ليكون ، لولا ما تميزت به قيادتنا السياسية من فهم شامل وعميق لطبيعة معركتنا مع العدو وآفاقها ، ولولا ما تميزت به ايضا من حسابات دقيقة وجرأة وقدرة عالية على التحليل واتخاذ القرارات الصائبة .

ان كل النجاحات التي حققتها ثورة ١٧ تموز منذ قيامها حتى الآن تؤكد هذه المسالة بوضوح ، وتؤكدها ايضا هذه القرارات المتكاملة التي اتخذتها القيادة لمواجهة الظروف المستجدة في معركتنا مع العدو الصهيوني .. ذلك ان القيادة لم تنظر الى هذه الظروف نظرة تجزيئية ولم تتصرف تجاه العدو بمعزل عن حليفته الاولى ، الامبريالية الاميركية ، بل نظرت الى المسالة نظرة شاملة ، وتصرفت من خلال فهمها للحلف الطبيعي القائم بين الصهيونية والامبريالية ، ووجهت الضربة اليهما معا ، وبامضى الاسلحة القادرة على استخدامها وعلى راسها سلاح النفط .

ان ما يربط الامبريالية الاميركية والصهيونية اقوى من ان يفصمه لوم او تانيب او ضغط من اي نوع .. ولذا فان كيل الضربات اليهما معا ، هو الطريق الصحيح والجاد نحو التحرير . فليس ثمة شك في ان اقوى الضربات التي يمكن ان تكال اليهما اليوم ، هي تلك التي تاتي باستخدام سلاح النفط في المعركة .. ذلك ان النفط شريان يغذيهما معا ويجعل كلا منهما بحاجة الى الآخر وملزما بحمايته والدفاع عن مصالحه .. ومن ثم فان استخدامه سلاحا في معركتنا الشاملة معهما ، يشل قدرات كل منهما ويضمن لنا منذ الآن اهم مستلزمات النصر . وهذا ما ادركته قيادتنا السياسية وما قامت به فعلا ، وهذا ايضا ما دعت اليه الاقطار العربية وما طالبتها به .

وعليه فان الاقطار العربية المنتجة للنفط ، موضوعة اليوم امام مسؤولياتها التاريخية ، وهي مطالبة بان تثبت بالبراهين العملية ايمانها بالحق العربي وحرصها على هذا الحق ، والا فان حساب التاريخ ، وحساب الجماهير قبل ذلك ، سيكون شديدا .. لان الجماهير لا يمكن ان تكبل الى الابد ، وتسكت على من يرضى بتحويل ثرواتها الوطنية الى رصاص في بنادق الاعداء .

ان الحرص على الدم العربي الذي يسفك اليوم في سيناء والجولان لا يمكن ان يكون جادا الا اذا وجد من يؤكده بقرارات فعلية .. وقرارات البعض لا يمكن ان تكون صادقة الا اذا اقترنت باستخدام كل سلاح يملكونه وفي مقدمتها سلاح النفط . اما ان يقول البعض شيئا ويفعلون شيئا آخر ، واما ان يرفعوا بندقية بيد ويحشون بالاخرى بندقية العدو ، فذلك ما لا يسامحون به ولا يعذرون ..

الف باء
١٠ تشرين الاول

استعدادا لحرب طويلة وشاملة

الحرب ليست نزهة ، وحربنا هذه بالذات لن تكون كذلك .

اننا الآن نحقق انتصارا تلو آخر ونمني العدو بأفدح الخسائر ، ولكن هذا ليس كل شيء . فحربنا هذه قد تطول . والحق انه ينبغي لها لشروط تكتيكية وستراتيجية ان تطول . ولذا يتوجب على كل فرد فينا ان يوطن نفسه لحرب طويلة وشاملة وشاقة .

واذا كان من الشروط الاولية لذلك ان يلعب كل منا دوره في هذه الحرب ويكون جنديا آخر في موقعه الخاص والعام ، فان على كل منا ايضا ان يفهم طبيعة حربنا المقدسة ويستعد لها نفسيا ويتحصن ضد اساليب الحرب النفسية التي تشن علينا خلالها .

ان اجهزة اعلام العدو واجهزة حلفائه ما زالت تمارس ضد جماهيرنا اساليب التشويش والتضليل والخداع . فهي في سبيل تثبيط عزائمنا وزعزعة ثقتنا بانفسنا ، لا تتورع عن تشويه الحقائق وقلبها راسا على عقب . وهي في سبيل رفع معنويات العدو والمحافظة

على تماسكه النفسي ، لا تتردد عن نسج الاكاذيب واختلاق الانتصارات. ولقد كشفت الايام القليلة الماضية كم من الاكاذيب صنعت هذه الاجهزة وحاولت ترويجها ، وكم من تناقض مضحك وقعت فيه ، حتى ان وكالات الانباء لم تعد تثق فيها واصبحت تتحفظ كثيرا في ما تتلقاه منها .

ان هذا يستلزم منا الحذر بالطبع ، والتنبه الى ما تدعيه أجهزة العدو وحلفائه ، وتفهم ما يختفي وراء الادعاءات من اغراض . والى جانب ذلك ينبغي ان ندرك حقيقة يجدر ألا تخفى على كل من يخوض حربا كحربنا ضد الصهيونية والامبريالية . وهي ان هذه الحرب تستلزم التضحية ، وان النصر فيها يتطلب منا الاستعداد لان نضحي فعلا ونقدم خسائر في المال والارواح والمعدات . ورغم ان خسائر العدو تبلغ اضعاف ما نخسره نحن ، الا اننا نخسر على اية حال ، وينبغي ان نتوقع هذا ونفهمه ونستعد له ماديا ونفسيا منذ الآن . فالحرب كما قلنا ، وكما هو معروف ، ليست نزهة ، وليس ثمة حرب بلا خسائر ، او نصر بلا ثمن .

وفضلا عن ذلك ينبغي ان ندرك حقيقة اخرى ، وهي ان الحروب الطويلة الشاملة ،وحربنا اليوم ينبغي ان تكون احداها ،هذه الحروب لا يمكن ان تتواصل فيها الانتصارات والانجازات ، اذ لا بد من ان تتخللها النكسات والخسائر ، غير ان المهم بعد ذلك ان يكون النصر حصيلتها النهائية . وبسبب ذلك فان علينا ان نتوقع الاخبار المحزنة، وحتى المريرة ، من حين لآخر ، وعندئذ ، عند ورود هذه الاخبار ، يتوجب علينا ان نتجرعها دون ان يختل توازننا او تتزعزع ثقتنا بانفسنا . بل على العكس ينبغي ان تحفزنا وتعزز فينا ارادة الصمود والقتال والتصميم على النصر .

ان كل ما تبغيه اجهزة اعلام العدو وحلفائه هو ان تطفىء فينا ارادة القتال والاستمرار في الحرب واطالة أمدها ، لان محصلة ذلك ان حدث ، ستكون الهزيمة والاستسلام . اما نحن فلكي نعزز هذه الارادة وننميها ، ينبغي بعد كل ما قلناه ، ان نعبىء أنفسنا تعبئة شاملة ومنظمة وطويلة الامد ، وينبغي بالاضافة الى ذلك ان نفتح كل الجبهات ونقاتل بكل الاسلحة ، ونرفض المشاركات الرمزية على مستوى الانظمة والافراد .

ان هذه الحرب هي حرب الامة بكاملها ، ولا بد من ان تستعد لها الامة استعدادا نفسيا كاملا فتتقبل مرها ما دامت تطمح الى الفوز بحلوها ، ولا بد ايضا من ان تجند لها الامة كل طاقاتها وتجعل من كل شبر في الارض العربية ساحة قتال حقيقية .

ألف باء

١٧ تشرين الاول

يا لهذه الايام الخوالد

يا لهذه الحرب !

لقد غيرت اشياء كثيرة في الساحة العربية خلال سبعة عشر يوما فقط ، فماذا كان يحدث لو طال أمدها ؟!

دعونا اذن نتلمس ما حدث ، دون الحديث عما كان متوقعا ان يحدث .

ما حدث فعلا هو التالي :

١ ـ ان كل ما نسج حول العدو من أساطير القوة والجبروت تمزق في أيام ، وأصبح العدو نفسه موضوعا لرثاء المشفقين وسخرية الساخرين .

٢ ـ لقد سقطت سمعة العدو الدولية الى الحضيض واشتدت عزلته في العالم ، وأدين من كل جانب فصار يتلفت ولا يجد من يقول له نعم او يهز له رأسه بالتاييد الا حكومات قليلة جدا هي نفسها مدانة وسيئة الصيت ، وكثير من الحكومات التي كانت تؤيده قبل الحرب صارت تقابله بالتردد والوجوم .

٣ ـ ان الخسائر التي مني بها العدو كانت من الفداحة بحيث لم يستطع معها الصبر دون البحث عن تعويضات سريعة اقصى حدود السرعة .

٤ ـ لقد انهارت معنويات العدو بشكل لا يصدق بحيث صار يتخبط ولا يدري بالضبط كيف يسلك او كيف يقول ، وكان ارتباك اعلامه افضل تجسيد لهذا التخبط .

هذا بالنسبة للعدو الصهيوني ، اما بالنسبة لحلفائه الامبرياليين فقد حدث ما يلي :

١ ـ وجهت ضربات قوية للمصالح الامبريالية النفطية في المنطقة ، وقد تجلى هذا في القرار الذي اتخذته قيادة الثورة في العراق بتاميم حصتي اميركا وهولندا في شركة نفط البصرة ، هذا القرار الذي حول التحدي الامبريالي وروح العدوان الى مكسب جماهيري ضخم .

٢ ـ لقد ساد الرعب الاوساط الامبريالية الاميركية من جراء تصاعد نقمة الجماهير العربية وتشديدها على تصفية المصالح الاميركية في الوطن العربي ولا سيما المصالح النفطية . ولقد كان ممكنا ومتوقعا ان توجه ضربات اخرى غير الضربات التي وجهها العراق فيما لو طال أمد الحرب ، ومع ذلك فان ما بداه العراق وما تحول الى شعار جماهيري آني وملح لا يمكن ان ينطفىء بانطفاء نار الحرب .

٣ ـ وظهرت بشكل جلي فعالية سلاح النفط في المعركة من خلال الارتباك الذي ساد سوق الطاقة في مناطق عديدة من العالم وبخاصة في اميركا .

واما بالنسبة لنا نحن العرب فقد حدث ما يلي :

١ ـ استردت الامة العربية اعتبارها بين الامم بعد ان شوه العدو صورتها ، فظهرت للعالم من جديد تلك الامة القادرة على استخلاص حقوقها من غاصبيها وتاديبهم وسحقهم اذا لزم الامر .

٢ ـ تعززت ثقة الامة العربية بنفسها وثقة العربي بنفسه وبأمته بعد ان كان يترنح بين اليأس والامل والتصميم والاحجام ، فتفجرت فيه وفي الامة تلك الطاقات الكامنة وغير المنظورة ، ودخلت رصيدا ضخما في المعركة ، رصيدا لم يكن العدو وحلفاؤه يحسبون حسابه كما ينبغي .

٣ ـ أكد الجندي العربي شجاعته وأثبت قدرته القتالية العالية وكفاءته في استخدام سلاحه ووجه لجيش العدو ضربات قاصمة لا تنسى ، وحطم غطرسته العسكرية وأسطورة تفوقه .

٤ ـ تأكدت قدرة قوى الثورة العربية على الرد الحاسم والسريع وتوجيه ضربات ساحقة للمصالح الامبريالية في المنطقة ، وقد تجلى هذا بشكل خاص في تأميم حصتي اميركا وهولندا في شركة نفط البصرة .

٥ ـ تكشفت كل أقنعة الرجعية العربية وظهر مدى اخلاصها لسادتها الامبرياليين ، ومدى استعدادها للتضحية بالمصالح القومية في سبيل تطمين مصالح هؤلاء الحلفاء ، وكان استمرار القتال سيضعها مباشرة امام غضب الجماهير دون ان يشفع لها نفاقها او مشاركاتها الرمزية او تبرعها بالمال وقت الحاجة الى الدم .

ومع ذلك ، فان آثار هذه الايام الخوالد لن تمحي ، ولن تنساها الجماهير العربية وقواها الثورية وسيكون لها حتما فاعليتها في المستقبل القريب والبعيد .

ألف باء

٢٤ تشرين الاول